

موجز مقدمة المؤلف:

قمت من النوم يوماً ما مدعوراً وأنا أفكر لماذا يجب على كتابة هذا الكتاب. لقد كنت خائفاً من أن أموت أو أفقد لياقتي الفيزيائية وماذا سيحدث لي عندئذ.

من ليلة لأخرى كنت دائماً ولعدة سنين أصحو على تساؤلات عن السر الأعظم الذي يتوارى خلف وجودنا الفيزيائي، من نحن؟ ومن أين أتينا؟ لماذا نحن هنا؟ ماذا يحدث بعد الموت؟ ما الفيزياء وكيف ترتبط بعلم النفس والأحلام بل والتقاليد الروحية؟ ما العلاقة بين حياتي أنا والحياة في المجموعة الشمسية؟

لكي أتفكر في هذه الأسئلة، تابعت أحلامي والتي انعكست على الفيزياء النظرية وكذلك تجاربي على مدى ثلاثين عاماً حيث أعمل في العلاج الطبيعي وعملت مع أفراد وجماعات عديدة في حالات وعى طبيعية أو متباينة..

ولكي أجيب عن أعمق هذه الأسئلة أخذت أتفكر فيما أعرفه عن علم النفس، الشامانية(*) والفيزياء. وعندئذ جاءت الفكرة. للإجابة عن كل هذه الأسئلة.. لا بد وأن تتوحد الفيزياء، علم النفس والشامانية في نظرية واحدة. يالها من مهمة مستحيلة! كيف يمكنني عمل ذلك؟.

فيما يلي من الأبواب، وفي هذا الكتاب، سوف أعرض كيف أن حالات الوعى الشبيهة بالأحلام هي المادة الأساسية للكون، أى إن المادة تتولد من الأحلام، وهذه الحالات هي وسيلتنا لكي ندخل ونخرج من العالم الفيزيائي. إنها أساسية ليس فقط للشامانية وعلم النفس وإنما أيضاً للفيزياء والرياضيات.

إننى وبعد خمس سنوات متواصلة من العمل على صياغة هذا الكتاب أرى الفيزياء إمبراطوراً بلا ملابس، وقائداً ليس مؤهلاً للقيادة. إن الكيمياء والبيولوجيا والطب تتمحور حول الفيزياء كأكثر العلوم مركزية وتأثيراً في العلوم الأخرى، ولكن تفسير القوانين الفيزيائية مازال غير معروف.

تبدو الفيزياء في هذا الكتاب كبيت بنى بلا قاعدة؛ لذا يندهش الفيزيائيون لكون الرياضيات تنبأ ببعض الظواهر قبل أن تشاهد. وكما نعلم فإن الفيزياء تمكننا من بناء الحاسبات ومركبات الفضاء، ولكنها مازالت تحتاج للشامانية وعلم النفس لكي تفسر علم الرياضيات والإنجازات الفيزيائية.

(*) الشامانية: دين بدائي من أديان شمال آسيا وأوروبا، يتميز بالاعتقاد بوجود عالم محجوب، عالم الآلهة والشياطين وأرواح السلف، وبأن هذا العالم لا يستجيب إلا لكهنة هذا الدين (الشامان).

لقد أصبح واضحاً أن الرياضيات والفيزياء تعتمدان على ما تعرفه الشامانية وعلم النفس منذ زمن طويل، ألا وهو مقدرة كل شخص التعرف على الأحداث الذكية، والتي تشبه في الواقع الأحلام. إن «العقل الكمي» هو عبارة عن عملية إدراكنا للقوة السحرية الكامنة فينا للمشاركة في خلق الواقع. إنني أناقش كيفية تفاعل الطبيعة بشكل ذكي مع نفسها على خلفية إدراكنا الحسي، لتخلق العالم الذي نحسه ونلاحظه.

إنني أسمى عالم النفس والشامانية والفيزياء؛ حيث العالم الذي تحدث فيه الأحداث قبل أن نراها، أسميها «بالعالم غير المحسوس». لقد سماه عالم علم النفس الكبير س. ج. يونج بـ «العقل الباطن الجمعي» Collective subconscious. أيضاً سماه عالم الفيزياء الحائز على جائزة نوبل دايفيد بوم David Bohm «بالكمال التام» unbroken wholeness. كما أسماه عالم الفيزياء الحائز أيضاً على جائزة نوبل فيرنر هيزنبرج Werner Heisenberg «عالم نزعات الدالة الموجية» Tendencies of quantum wave function. يسمى العامة هذا العالم - حيث تتواجد الأشياء قبل أن نلاحظها بعالم الأحلام. يرتبط التنوير في البوذية بمعرفة هذا العالم. إنني أزعّم أن هذا العالم هو الأساس لتوحيد الفيزياء والميثولوجيا^(*).

لقد اكتشفت كيف يمكن أن أنفذ إلى عالم الأحلام الذي يتوارى خلف العالم الفيزيائي، وكيف يمكن أن أخطو خارج الزمن عن طريق الفيزياء والشامانية، وكيف يمكنني أن أصيغ هذه الأفكار الجديدة بحيث يفهمها القارئ العادي والعالم المتمكن؟ كان كل هذا تحدياً آلياً على نفسي أن أقوم به وأنجزه.

لقد قمت بتدريس الفيزياء في عديد من الدول، وتوصلت إلى أن أساسيات الرياضيات ما هي إلا تجليات لأنفسنا نحن، وكذلك وجدت أن رياضيات ميكانيكا الكم ماهي إلا بيت مليء بكنوز الشفرات (codes).

لقد طفت بالعديد من بلدان العالم وتأثرت جداً بثقافة القبائل التي تعيش على نهر الأمازون في البرازيل، والتي تقيم احتفالات تجمع بين الطقوس المحلية والأفريقية والمسيحية والتي لاحظت فيها تماثل الكون، والذين سمحوا لي بأن آخذ الورقة والقلم لكي أسجل خواطري عن الفيزياء وعلم النفس، التي أوحّت لي بها هذه الروح العظيمة المتجسدة في هؤلاء البشر.

(*) الميثولوجيا: العلم الخاص بدراسة الأساطير.

في حالة نشوة غمرتني عندما كنت بالأمازون، تنبّهت إلى أن التناقض بين داخلي
الفيزيائي وعلم النفس والشامانية يمكن أن ينفك إذا ما اتحدت كل هذه الأشكال
المتنافرة في داخلي لكي تتعاون في كتابة هذا الكتاب.

أرنولد ميندل

أوريغون ١٩٩٩